الكاكائية في محافظة نينوى بين مطرقة الحكومات العراقية وسندان الجماعات المسلحة

نبيل عكيد محمود المظفري[١]

الاستلام: ١٤٤١/٠٨/٢٨ القبول: ١٤٤١/١٢/٠٦

الملخص:

من المعلوم لدى القاصي والداني، إن الكورد تعرضوا إلى حملات إبادة جماعية في عموم كوردستان على يد السلطات الحاكمة في الدول التي يقطنونها، ولاسيما في كوردستان العراق، والكاكائية جزء أصيل من القومية الكوردية، وتنتمي من حيث لهجتها إلى الكورانية ، وهذه القبيلة تتوزع في عدة محافظات عراقية وتقطن بشكل مكثف في محافظات كركوك ونينوى واربيل وديالى والسليمانية ودهوك، وقد تعرضت هذه النحلة من الشعب الكوردي إلى شتى أنواع القهر والظلم والإبادة، وبما أنها تقطن في الغالب في مناطق التماس مع القوميات الأخرى وعلى الحدود الإدارية للمحافظات كما هو الحال بالنسبة إلى كاكائية نينوى واربيل وكركوك وديالى، لذا فإنهم تعرضوا إلى مختلف أنواع الظلم والتهجير والقتل وتحت عناوين مختلفة منها دينية ومنها قومية. ويتناول هذا البحث عدة محاور وهي كما يأتي:

١) الصهر القومي من خلال التهديد بالتهجير القسري في حالة عدم تغيير القومية لصالح القومية العربية وتهجير العوائل التي امتنعت عن تغيير قوميتها في سبعينيات القرن الماضي؛ ٢) تغيير القومية للكاكائية قسرا في إحصاء سنة ١٩٧٧ لصالح القومية العربية؛ ٣) تهجير عوائل الملتحقين بالبيشمركة؛ ٤) التهجير العام للكاكائية في نينوى في آب ١٩٨٨. وتدمير قراهم بشكل تام؛ ٥) منع الأهالي من تسمية مواليدها بأسماء كوردية؛ ٦) إقامة حاجز امني من الكاكائية للقرى العربية الواقعة في منطقة كوير التابعة إلى محافظة اربيل. ومنعهم العودة إلى قراهم؛ ٧) قتل عدد من الكاكائية في مدينة الموصل والتهديد بالقتل للذين يمتنعون عن مغادرة المدينة بعد سقوط النظام في سنة ٢٠٠٣؛ ٨) مهاجمة قرية وردك بالسيارات المفخخة والانتحاريين في سنة ٢٠٠٩ لإبادة القرية وتخويف القرى الأخرى بهدف ترك قراهم؛ ٩) في سنة ٢٠١٤ سيطر تنظيم داعش على قرى الكاكائية وسبب ذلك في نزوح الالآف منهم الى اقليم كوردستان. وتم نهب القرى وتدمير بيوتها وخسارة مزارعهم، وعندما عاد الأهالي الى قراهم بعد تحريرها من داعش، استشهد عدد من المدنيين نتيجة للعبوات الناسفة التي زرعها داعش على الطرقات وداخل البيوت وفي الاراضي الزراعية.

الكلمات المفتاحية: الكاكائية ، الابادة الجماعية، سهل نينوى، الخازر ، داعش، التهجير، الكرد، وردك.

Kakaiya in Nineveh Governorate, between the hammer of Iraqi governments and the anvil of armed groups

Nabeel ageed mahmoud almodafary [2]

Recive data: 2020/04/22 Accpte data: 2020/07/27

Abstract

Al-Kakaeya tribe is distributed and located in many province in Iraq, amang these is Naynawa, Kirkuk, sulaimanya, Erbil, and Diyal provinces. They are located in many villages and city centers, an which they were exposed to different types of exclusion, exiling emigrating by force and Arabization across so many years, especially during the era of previous regime, i.e. from (1968-2003) and even after the regime. Hence, Al-Kakaeya were exposed to threatening by the armed groups. In 1974 many families of Al-Kakaeya were forcedly emigrated, and then Arabized by changing their nationality in the census of 1977. They were threatened that they should register their nationalities as Arabs, other wise they would be emigrated forcely. Therefore, they were emigrated forcely in 1988, after registering themselves as Kurds in the census of 1987, to different areas of Al-Suleimaniya province, and later they were taken away to Al-Guwer area in Erbil province.They returned home during the uprising of 1991, and after the fall of Saddams regime, the villages of Al-Kakaeya were exposed to many threatenings by extreme religious trends such as exploding Wirdik village that caused in killing (19) citizens and wounding other (50) citizens. Moreover, a large number of Al-Kakaeya people were targeted assassinated inside Al-Mosul city and Al-Hamdaniya town. In 2014, ISIS controlled of the Kakay's villages, thousands of them emigrated to the Kurdistan Region. Their properties were robbed, fields were burnt, a number of their houses destroyed. After its liberation from ISIS organization the resident (citizens) returned, many of them martyred by bombs that were implanted by ISIS on the roads, in the houses and agricultural lands.

Keyword: Kakai, genocide, Nineveh Plain, Khazar, ISIS, Kurds, Wardak.

١. أ.م. د. العراق – جامعة كركوك. كلية التربية للعلوم الإنسانية. nabeeldralmodafary@yahoo.com

2. Professor of History at Kirkuk University.

التوزيع الجغرافي للكاكائية

يتميز الكاكائيون عن القبائل والعشائر الكوردية الأخرى في عموم العالم، بأنهم يؤمنون بعقيدة مختلفة عنها، على الرغم من الأغلبية المطلقة من الكاكائية (الياريسانيون) هم من الكرد من حيث الأصل العرقي، هذا فضلاً عن ان الكتب والتعاليم الدينية مكتوبة باللغة الكوردية في الغالب. وما يميز هذا الدين احترامه واعترافه بالأديان والمذاهب العالمية، فهذا الدين ينظر إلى الأديان والمذاهب نظرة واحدة دون تمييز وتقف على مسافة واحدة منها[١]، ويكن احتراما كبيرا للأديان الاخرى وأنبيائها واتباعها من الاولياء والصالحين. لهذا فان البعض يعده طريقة إسلامية وآخرون يعدونها خارجة على الإسلام[٢]، وبين هذا وذاك فقد أصبح أتباعها عرضة للتهديدات المتنوعة من قبل جماعات وتيارات دينية متشددة والانظمة الحاكمة وفي معظم مناطق توجد اتباعها. وتمثلت بالتهجير القسري والقتل والتعريب فضلاً عن الازدراء الديني، ناهيك عن دور التعليم الرسمي في صهر اتباعها في بوتقة الديانة الاسلامية، وكان الهدف الأساسي من ورائها الإبادة الجماعية[٣]، أو اجتثاثها من مناطق سكناها، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالانتماء القومي الكوردي كان سببا آخر يضاف إلى معاناة الكاكائية. إذ إنها لا تحتاج إلى الأدلة لإثبات هويتها القومية فان اسمها يدل عليها، فكلمة الكاكائية، مشتقة من كلمة كاكه وتعني الأخ[٤]، وهي أكثر استخداما بين الكورد جمعيا من باب الاحترام والتقدير، إذ يذكر كلمة كاكه مع اسم الشخص، حتى أصبحت هذه الكلمة شائعة عند أبناء القوميات الأخرى عند مخاطبتهم لشخص من القومية الكوردية.

إن من الصعب جدا تخمين عدد سكان الكاكائيين، نتيجة لسكنها في مناطق مختلفة من العراق، ولا توجد إحصائية رسمية بذلك، فكل الأرقام التي تذكر في هذا المصدر أو ذاك لا تتعدى كونها تخمينات لا ترقَ إلى مستوى الواقع[٥]، لذا فإننا نشير هنا إلى مواطن سكناهم دون التطرق إلى عدد نفوسهم.

تتوزع الكاكائية حسب الكثافة السكانية في المحافظات العراقية الآتية على التوالي (كركوك ونينوى والسليمانية وديالى وأربيل ودهوك وبغداد)، فضلا عن سكن بعض عوائلها في محافظات أخرى كالانبار وكربلاء، وفيما يخص موضوع بحثنا، أي الكاكائية في محافظة نينوى، فهم يتوزعون في عدة قرى وهي حسب الكثافة السكانية كما يأتي: وردك وتل اللبن وكزكان، والمجيدية[٦]، وهذه القرى جميع سكانها من الكاكائية، بينما هناك قريتان وهما زنكل وكبرلي[٧]، ويسكن الكاكائية والعرب السنة في قرية زنكل، وأما كبرلي

---

(١) الكاكائية: طريقة دينية مؤسسها اسحق بن عيسى البرزنجي (ولد في حدود سنة ٧٢٥هـ أو سنة ٧١٦هـ)، ظهرت في منطقة هورامان ثم انتشرت في الأصقاع الأخرى، وهي قائمة على أربعة عناصر أساسية وهي الطهارة والصدق والتواضع (نكران الذات) والقناعة. للتفاصيل ينظر: تەیب تاهری، میژوو و فەلسەفەی سەرئەنجام (راڤەیک له سەر ریبازگەلی هزری و بیروباوەری له کوردستان) هەولێر چاپ و بەلاو کردنەوەی موکریانی٢٠٠٩ ، ل٦٢٥-٥٩٧.

(٢) محمد حسين محمد شواني، التنوع الاثني والديني في كركوك، مطبعة وزارة التربية (أربيل، ٢٠٠٦)، ص ١٧٥-١٧٨.

(٣) الإبادة الجماعية أي الجينوسايد (Genocide) وتتألف هذه الكلمة من مقطعين، الأولى (Geno) وتعني العائلة أو العرق أو الجذر والثانية (Cide) وتعني محو، أي بمعنى محو العائلة أو العرق من الوجود ، وقد أخذت هذه الكلمة تدل في الوقت الحاضر على القوميات والطوائف الدينية والمذهبية والثقافية التي تتعرض إلى القتل الجماعي وإلحاق الضرر بمناطق تواجدها وتخريب طبيعتها ومناخها. سالار محمود، "الأنفال .. مرحلة متقدمة من الإبادة الجماعية (الجينوسايد) التي تعرض لها شعب كردستان"، جريدة الاتحاد، http://www.alitthad.com

(٤) شواني، المصدر السابق، ١٧٣-١٧٤.

(٥) لا توجد إحصاءات رسمية أو خاصة قديما أو حديثا، لاسيما أن الإحصاءات الرسمية لا تؤكد على العشائرية، وإنما كانت تؤكد على القومية والدين فقط، وبما أن إفراد هذه النحلة قد سجلوا ضمن الديانة الإسلامية، فليس من الممكن التعرف على عددهم الحقيقي، ومن الجدير بالذكر أن هناك محاولات في الوقت الحالي لغرض إجراء إحصاء خاص بأفراد القبيلة بشكل أكاديمي من قبل مجموعة من المثقفين، إلا أن العمل لم ينتهِ بعد.

(٦) تحتل هذه القرى موقعا استراتيجيا مهما، لاسيما في الجانبين الاقتصادي والأمني، إذ تقع قريتا كزكان ووردك على الجهة اليمنى من نهر الخازر، بينما تقع قرية تل اللبن في الجهة المقابلة لقرية كزكان على النهر نفسه، في حين أن قرية المجيدية تقع على بعد (٣) كم تقريبا عن نهر الخازر في الجانب الشرقي للنهر، وهي تبعد المسافة نفسها تقريبا عن نهر الزاب الكبير في الجانب الغربي للنهر، وجميع أراضي هذه القرى صالحة للزراعة بعضها سيحية وأخرى ديمية. فهناك وفرة من المياه العذبة، وفي الناحية الأمنية فقد كانت هذه القرى تقع على الحدود الإدارية بين محافظتي أربيل ونينوى، وكثيرا ما كانت الحكومة العراقية في العهد النظام البائد تنظر بعين الريبة إلى هذه المنطقة، لذا فان من الأسباب التي أدت إلى ترحيلها أو محاولة احتوائها تكمن في هذين الجانبين.

(٧) تقع قرية زنكل في الجهة اليمنى من نهر الزاب الكبير، بينما تقع قرية كبرلي في منتصف المسافة تقريبا بين نهر الخازر ومدينة قره قوش.

فنصف سكانها من الكاكائية والنصف الآخر من الشبك الشيعة والبكتاشية، وهناك عدد كبير من العوائل الكاكائية تسكن في مدينة قره قوش[١] مركز قضاء الحمدانية، وبرطلة مركز ناحية برطلة التابعة لقضاء الحمدانية ومدينة الموصل مركز محافظة نينوى. وتحيط قرى الكاكائية مجموعة من قرى عرب السنة والشبك والتركمان الشيعة. ومن الناحية الإدارية، فقد كانت قرى المجيدية وكزكان وزنكل وتل اللبن تتبع ناحية أسكي كلك، إلا إنها أُلحقت بمركز القضاء بعد انتفاضة سنة ١٩٩١[٢]، بينما كانت قرية كبرلي تابعة لمركز القضاء منذ البداية، في حين كانت قرية وردك ولا تزال تابعة إلى ناحية النمرود[٣].

إن وجود الكاكائية في هذه المنطقة يعود إلى مئات السنين، فقد انتشرت على ضفاف نهري الخازر والزاب الكبير، أو المناطق القريبة منها كقرية كبرلي التي تقع على بعد حوالي (٧) كم من نهر الخازر وقرية قرقشة التي تبعد عن النهر نفسه حوالي (٥) كم، وكانت الأخيرة جميع سكانها من الكاكائية إلى أن هجرتها في سنة ١٩٥٦، واستقر بعض سكانها في قرية وردك والبعض الآخر بنوا قرية جديدة معروفة لدى أهل المنطقة بقرية كولبور، بينما تعرف في الوثائق الرسمية بقرية المجيدية.

من الواضح إن هذه (القبيلة)[٤] سكنت في مناطق التماس منذ زمن بعيد بين المناطق الكوردية السنية والمناطق التي تقطنها القوميات الأخرى ولاسيما العربية، وهذا واضح في اغلب المحافظات التي فيها مناطق مختلطة، واغلب الظن إن السبب في ذلك يعود إلى المضايقات التي تعرضت لها على الدوام من قبل التيارات الدينية والقومية المتطرفة، بحثاً عن الأمان والاستقرار، وبما أنها تعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى وتربية المواشي بالدرجة الثانية، لذا فإنها أولت الأرض أهمية كبيرة، ونادراً ما هجرت أرضا إلا تحت ضغوط وظروف قاهرة، ويبدو ذلك جليا في سنة ١٩٨٨، عندما رحلت إلى مناطق مختلفة من كوردستان، بذلت كل جهدها للعودة إلى مواطنها مهما كلفها ذلك، فكانت الظروف مناسبة عندما حدثت انتفاضة سنة ١٩٩١، إذ بادرت مباشرة بالعودة إلى مناطقها في ظروف قاهرة.

لم تكن هذه القبيلة في يوم من الأيام بعيدة عن الحركة التحررية الكوردية، إذ التحق عدد من أبنائها بالحركة في أزمان مختلفة، لاسيما في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، أما البعض الآخر منهم فقد شاركوا في دعم القضية الكوردية عن طريق التبرعات أو الاشتراكات الشهرية بالنسبة لأعضاء الحزب الديمقراطي الكوردستاني[٥]، ولاسيما وان قادة الحزب قد أكدوا على أبناء الكاكائية في هذه المنطقة عدم الالتحاق بالحركة المسلحة لان ذلك سيؤدي إلى إلحاق الضرر بهم وترحيلهم وإسكان العرب محلهم كونها من المناطق الحدودية، لكن ذلك لم يمنع الحكومة من اتخاذ بعض الإجراءات بحق كاكائية محافظة نينوى، ومن الجدير بالذكر إن المضايقات والتهديدات التي تعرضت لها الكاكائية لم تكن وليدة العهد البعثي، وإنما يعود تاريخها إلى قبل ذلك، إذ يذكر السيد زوراب

---

(١) تقع على بعد (٢٨) كم جنوب شرقي مدينة الموصل، وتعني كلمة قره قوش (الطائر الأسود)، وقد شاع استعمال هذه التسمية في عهد الإمارات التركمانية، ولم تكن معروفة بها قبل هذا التاريخ، ويسميها سكانها الأصليون بـ (بغديدا) حتى يومنا هذا، ويختلف الباحثون حول معناها. للتفاصيل ينظر: جمال بابان، أصول أسماء المدن والمواقع العرقية، مطبعة الأجيال (بغداد، ١٩٨٨)، ص ٢٩٩.

(٢) انتفض الشعب العراقي في اغلب مدن البلاد ضد النظام البعثي منذ آذار ١٩٩١، لاسيما بعد الهزائم التي مني بها الجيش العراقي على أيدي قوات الحلفاء في حرب الخليج الثانية، وقد تمكن المنتفضون من السيطرة اغلب مدن كوردستان والمدن الشيعية في الوسط والجنوب. للتفاصيل ينظر: تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، الدار العربية للموسوعات (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ٣٣١-٣٣٨.

(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: خسرو كوران، الكورد في محافظة الموصل، ترجمة وتعليق حازم هاجاني، مطبعة حجي هاشم (أربيل، ٢٠٠٦)، ص ٧٥-٩٦.

(٤) نستعمل كلمة قبيلة أو عشيرة في بعض الاحيان في هذا البحث للدلالة على اتباع الدين الكاكائي، وذلك لأن الكاكائية يُعدون قبيلة أو عشيرة في التعاملات الرسمية وكذلك عند القبائل والعشائر الأخرى في العراق، وفي الحقيقة فان الكاكائية (الياسان) ديانة مستقلة قديمة وأتباعها ينتمون الى قبائل مختلفة.

(٥) أُسس الحزب في بغداد بتاريخ ١٦ آب ١٩٤٦، وقد حضر المؤتمر التأسيسي (٣٢) سياسيا كورديا كان أبرزهم صالح اليوسفي وعلي عبدالله وحمزة عبدالله والدكتور جعفر عبدالكريم والدكتور سعدي الاتروشي ونوري شاويس وطه محيي الدين، فضلا عن إبراهيم احمد الذي حضر بصفة مراقب وآخرين، وكان برنامجه في ذلك الحين يهدف إلى إقامة نظام جمهوري ديمقراطي والحكم الذاتي للشعب الكوردي. للمزيد من المعلومات ينظر: شيركو فتح الله عمر، الحزب الديمقراطي الكوردستاني وحركة التحرر القومي الكوردية ١٩٤٦-١٩٧٥، مطبعة رون (السليمانية، ٢٠٠٤)، ص ١٠٤-١١١.

عساف درويش والمعروف بـ (مام زوراب) وهو أحد وجهاء قرية وردك، كان أبناء القبيلة ممن لديهم شوارب طويلة[١] يخشون الذهاب إلى مدينة الموصل في عهد عبدالسلام عارف (١٩٦٣-١٩٦٦) خوفاً من القوميين حتى تمكنوا من إيصال رسالة إلى السلطات عن طريق احد وجهاء آل كشمولة في مدينة الموصل ، الذي بيَّنَ بدوره إن شواربهم ليس لها علاقة بالمسائل القومية وإنما الشارب هو جزء من معتقدهم الديني والعشائري، فكفت بذلك السلطات عن ملاحقتهم[٢].

التهجير القسري

لقد بدأ نظام البعث في العراق (١٩٦٨-٢٠٠٣) باتخاذ إجراءاته من اجل تعريب مناطق الكاكائية منذ النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي، فقد قررت الحكومة ترحيل حوالي (٣٠) عائلة من القبيلة من العوائل التي كانت معروفة بولائها للحزب الديمقراطي الكوردستاني إبان الانتفاضة الكوردية في سنة ١٩٧٤[٣]، إلى منطقة عقرة[٤]، وقد رحل بعضها فعلا لاسيما عوائل قريتي المجيدية وكزكان، بينما العوائل التي كان من المقرر ترحيلها من قرية وردك، فقد تم إيقاف تنفيذ إجراءات الترحيل بفضل المتنفذين والبعثيين من أبناء القبيلة من أمثال رئيس القبيلة عدنان آغا والوجه الأكثر نفوذاً لدى السلطات مظهر مدحت أحمد ده ده[٥] وفيض الله حسين محمود[٦] وغيرهم . ومن الجدير بالتنويه إن بعض العوائل التي كانت في طريقها إلى عقرة تم إعادتها عن طريق الاتصالات التي أجراها بعض أبناء القبيلة مع أمين سر فرقة برطلة لحزب البعث محمد سعيد فندي الذي كان يشغل مدير بلدية ناحية الكلك وقتئذٍ، إذ اتصل الأخير بالسلطات العليا في المحافظة وأعادهم إلى قراهم[٧] أما العوائل التي لم ترحل فالفضل يعود في ذلك إلى كل من عدنان آغا ومظهر مدحت[٨].

وإزاء مخاطر الترحيل التي تهدد الكاكائية في هذه المنطقة كان البعض من أبنائها قد بادروا إلى الدخول في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي أملا في المحافظة على وجودهم في المنطقة، وفعلا حققت هذه المسألة أهدافها لفترة مؤقتة، بل إن هؤلاء البعثيين من الكاكائية كان لهم الفضل في منع ترحيل بعض العوائل التي اتخذت الحكومة إجراءاتها لترحيلهم. وبالتالي طويت صفحة الترحيل لفترة مؤقتة لتبدأ صفحة جديدة وهي التعريب.

التعريب

بعد أن هدأت الأمور في المنطقة ، كانت الحكومة قد أعدت مشروعا لترحيل الكاكائية من مناطقها إلى المناطق الكوردية الأخرى في عمق كوردستان، وإسكان العرب محلهم أو إبقائها فارغة من أهلها، وعندما اقترب موعد الإحصاء العام للسكان لسنة ١٩٧٧، كانت الحكومة قد قررت ترحيل الكاكائية في حالة تسجيلهم كورداً في الإحصاء، ولم يكن أبناء القبيلة على علم بالمخطط الحكومي، لكن

---

(١) الشارب: يُعد ركنا أساسيا في الموروث الاجتماعي والقبلي والعقائدي لدى الكاكائية، لذا فإنهم لا يعمدون إلى تحليقه.

(٢) مقابلة شخصية للباحث مع السيد زوراب عساف درويش في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٣) انتفاضة كولان

(٤) احد أقضية محافظة نينوى، وحوالي ٩٩% من سكانه من القومية الكوردية، ووفق التقسيمات الإدارية لسنة ١٩٧٦، كان قضاء عقرة يضم خمس نواحي، ويقع القضاء في أقصى شمال شرق محافظة نينوى ويحده من الشمال نهر الزاب الكبير ومن الغرب نهر الخازر وناحية الكلك التابعة لقضاء الحمدانية من الجنوب. كوران، المصدر السابق، ص ٥٧-٦٦.

(٥) هو مظهر مدحت احمد ده ده من مواليد مدينة كركوك سنة ١٩٣٥، من عائلة مالكة، كان والده موظفا في السراي الحكومي (باش كاتب) بكركوك، ليس لديه تحصيل دراسي، عمل في مجال المقاولات حتى سنة ١٩٧٣، أصبح عضواً في غرفة تجارة كركوك في ستينيات القرن المنصرم، ونظراً لمكانته الاجتماعية ونشاطه التجاري تم انتخابه رئيسا للغرفة، وبقي في منصبه حتى وفاته في ١٢ نيسان ١٩٩٣. نقلاً عن الدكتور صلاح عريبي عباس عن مقابلة له مع نجله السيد تكين مظهر في كركوك بتاريخ ١٥ أيلول ٢٠١٢.

(٦) هو أحد وجهاء قرية وردك، والأكثر حظوة لدى السلطات نتيجة لنفوذه الكبير في القبيلة، كونه يرأس أكبر أفخاذ القبيلة (المظفرية) في منطقة نينوى، وقد أصيب بجروح عندما فجر الإرهابيون سيارة حمل مفخخة يقودها انتحاري في القرية في سنة ٢٠٠٩.

(٧) مقابلة شخصية للباحث مع السيد زوراب عساف درويش في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٨) مقابلة شخصية للباحث مع عدنان آغا الكاكائي رئيس القبيلة في كركوك بتاريخ ٤ شباط ٢٠١٣.

قائممقام قضاء الحمدانية المحامي ناجي خزعل العبيدي (١٩٧٦-١٩٧٩)[١] وبسبب علاقاته المتميزة بالكاكائية[٢]، زار قراهم وأعلمهم بان الحكومة تنوي ترحيلهم إذا سَجلوا ضمن القومية الكوردية في الإحصاء، وقال "لأني كنت أريد الخير لهم نتيجة لعلاقاتي الجيدة مع الكاكائية، فقد أشرت عليهم بأن يسجلوا عرباً في الإحصاء، فقالوا كيف نسجل عرباً ونحن أكراد، فقلت لهم بأنكم إذا سجلتم عرباً ستضمنون البقاء في قراكم واراضيكم، والا فإن الحكومة سترحلكم إلى المناطق الكوردية البعيدة وستعيشون في الغربة وتفقدون قراكم وأراضيكم، كما أكدت لهم بأن تسجيلكم ضمن القومية العربية لا تمحي عنكم قوميتكم الكوردية الاصلية، فذلك مجرد حبر على الورق، فاقتنعوا وسجلوا عرباً، وبالتالي لم تتعرض لهم الحكومة"[٣]، ويبدو إن اللغة التي تحدث بها القائممقام مع كاكائية قضاء الحمدانية كانت تختلف تماماً عن لغة المسؤولين الآخرين وذلك للسبب الذي أسلفناه، فقد طغى على كلامهم التهديد والوعيد، إذ جاء على لسان المسؤول الحزبي لناحية الكلك إدريس التكريتي "إلي ما يغير قوميته إلى العربية يُرحل إلى كردستان"[٤]. الأمر الذي أدى في نهاية المطاف بوجهائها أن يسجلوا ضمن القومية العربية في الإحصاء العام للسكان لسنة ١٩٧٧، وفعلا تمكنت القبيلة أن تنقذ نفسها من الترحيل بفضل القائممقام، ولكن على حساب قوميتهم، إذ إن الحكومة جعلت من هذا الإحصاء أساسا في تعاملاتها الرسمية مع أفراد القبيلة وتغيير ديموغرافية سكان المنطقة وسيكون هذا الإحصاء مبررا للنظام لترحيلهم في سنة ١٩٨٨.

لم تغب الروح الكوردية عن الكاكائية على الرغم من تغيير قوميتهم من الكوردية إلى العربية في سنة ١٩٧٧، إلا أن ذلك قاد إلى حرمانهم من ابسط الحقوق وأهمها والمعروفة بحقوق التعليم، إذ إن المدارس التي تم افتتاحها كلها كانت باللغة العربية بحجة أن هذه المنطقة لا تقع ضمن مناطق الحكم الذاتي الذي اقر قانونه في ١١ آذار ١٩٧٠[٥]، ومن المهم ذكره هنا إن الكاكائية أصروا هذه المرة على العودة إلى القومية الكوردية في الإحصاء العام لسنة ١٩٨٧، ولاسيما إن الجيل الجديد من الشباب كانوا عازمين على التسجيل كوردا مهما كانت الظروف والنتائج، وهذا الذي حدث بالفعل، فعندما قامت الحكومة بإجراء الإحصاء العام للسكان في السنة المذكورة أعلاه ، سجلت ٩٩% من العوائل الكاكائية كوردا.

لم تُقدِم الحكومة حينها على أي إجراء ضد هذه القبيلة لأنها كانت منشغلة بالحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)[٦]، من جهة، وقيامها بعمليات الأنفال السيئة الصيت في مناطق مختلفة من كوردستان من جهة أخرى، إلا بعض الحالات الفردية، مثل قيامها

---

(١) ولد العبيدي في قرية العبيدية التابعة لناحية الحويجة آنذاك في سنة ١٩٤٢، وحصل على شهادة البكالوريوس في القانون من كلية الحقوق جامعة بغداد سنة ١٩٦٣، شغل عدة مناصب إدارية أولها مدير ناحية الحرير التابعة لاربيل، ثم قائممقام قضاء الحمدانية (١٩٧٦-١٩٧٩)، ثم قائممقاماً لقضاء عقرة لمدة ستة أشهر والنجف ومعاوناً لمحافظ الأنبار. مقابلة شخصية للباحث معه في كركوك بتاريخ ٢٢ شباط ٢٠١٣.

(٢) يرتبط العبيدي بعلاقة صداقة متميزة مع رئيس قبيلة الكاكائية، تعود إلى مرحلة الطفولة، وهما أخوان بالرضاعة وقد حاول جهده في مساعدة القبيلة في منع ترحيلها من خلال نفوذه الواسع لدى السلطات البعثية من جهة ووظيفته الإدارية وعلاقاته بالمسؤولين الإداريين في محافظة نينوى من جهة أخرى. مقابلة شخصية للباحث مع رئيس قبيلة الكاكائية في كركوك بتاريخ ٤ شباط ٢٠١٣.

(٣) مقابلة شخصية للباحث مع السيد ناجي خزعل العبيدي (قائممقام قضاء الحمدانية) في كركوك بتاريخ ٢٢ شباط ٢٠١٣.

(٤) وردت هذه المعلومة في أقوال المشتكي المحمي رقم (٢) في الجلسة الخامسة لمحكمة الجنايات الرابعة التي نظرت في محاكمة رموز النظام السابق في قضية التطهير العرقي. المحكمة الجنائية العراقية العليا/ محكمة الجنايات الرابعة/ الدعوى رقم ١/ج/٢٠٠٩/٤ في ٢٠٠٩/٨/٢، ص ١٢٣، نسخة من الوثيقة حصل عليها الباحث من السيد مهدي صالح عبدالله (عميد شرطة حاليا) بتاريخ ٢٠١٣/٢/٩..

(٥) أذاع الرئيس العراقي الأسبق احمد حسن البكر (١٩٦٨-١٩٧٩) بيان مجلس قيادة الثورة في ١١ آذار ١٩٧٠، اعترف فيه بحق الشعب الكوردي في الحكم الذاتي ضمن نطاق الجمهورية العراقية، وأكد البيان على اعتبار اللغة الكوردية لغة رسمية في البلاد وحق التعليم باللغة الكوردية، فضلا عن الإدارة الذاتية للمناطق الكوردية، إلا أن البنود الواردة في البيان، طبقت بشكل جزئي وبالطريقة التي تخدم الحكومة المركزية في بغداد، وكانت مسألة التسويف والمماطلة السمة البارزة في سياسة الحكومة المركزية، الأمر الذي أدى في النهاية إلى حدوث الانتفاضة الكوردية سنة ١٩٧٤. للتفاصيل ينظر: عمر، المصدر السابق، ص ٢١٦ وما بعدها.

(٦) للوقوف على أسباب وأحداث الحرب العراقية الإيرانية (حرب الخليج الأولى). ينظر: فاضل رسول، العراق - إيران : أسباب وأبعاد النزاع، دار سردم للطباعة والنشر (السليمانية، ٢٠١٠)، ص ٩٢ وما بعدها.

بترحيل بعض العوائل التي التحق أبنائها بالحركة الكوردية المسلحة، إلى كوردستان لغرض تسفيرهم إلى إيران وذلك في سنة ١٩٨٦[١]، والجدير بالذكر إن المشروع الحكومي السالف الذكر كان يشمل الشبك أيضاً ممن سجلوا تحت عنوان القومية الكوردية في إحصاء سنة ١٩٨٧، لذا فان مشروع الترحيل وفق المخطط الحكومي كان يشمل حوالي ٢٠% من سكان قضاء الحمدانية وهذا مما ينسحب سلبا على سياسة الحكومة واستقرار المنطقة، فتم تأجيل المشروع إلى حين التفرغ من عملية الأنفال مع اتخاذ جميع الترتيبات اللازمة لتنفيذ عملية الترحيل.

من المفيد الإشارة هنا إلى أن القيادة العراقية قد اتخذت الخطوة الأولى لتنفيذ عملية إبادة الكورد في جلسة مجلس قيادة الثورة برئاسة الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين والمنعقدة في ٢٩ آذار ١٩٨٧، فقد قرر المجلس إناطة مهمة تنفيذها بعضو القيادة القطرية لحزب البعث علي حسن المجيد المعروف بـ (علي كيمياوي)، إذ أكدت الفقرة الأولى من القرار على أن "يقوم الرفيق علي حسن المجيد عضو القيادة القطرية للحزب ومجلس قيادة الثورة في تنفيذ سياستنا في عموم المنطقة الشمالية وبضمنها منطقة كردستان للحكم الذاتي (...) حماية الأمن والنظام وكفالة الاستقرار فيها وتطبيق قانون الحكم الذاتي في المنطقة"، وقد خوله القرار أيضاً جميع الصلاحيات بما فيها صلاحيات مجلس الأمن القومي ولجنة شؤون الشمال، كما ربط القرار كل مؤسسات الدولة الأمنية بما فيها الجيش والاستخبارات العسكرية بشخص المجيد[٢].

إن هذا القرار حمل في طياته كثير من المعاني، إذ أبطل بشكل لا يقبل الشك ما كان معروفا في حينه بقانون الحكم الذاتي، إذ أن المنطقة الشمالية بأسرها أصبحت تحت سيطرة رجل واحد وهو علي حسن المجيد الذي أصبح الحاكم المدني والعسكري والحزبي في الآن نفسه، وعلى أساسه تم تنفيذ عملية الأنفال، كما أن القرار كان مفتوحا ولم يحدد بفترة زمنية وأن عمليات التطهير العرقي التي أعقبت عملية الأنفال في محافظة نينوى كانت ضمن سياقات وأهداف الكتاب نفسه، إذ أن اغلب القرارات المتعلقة بشأن ترحيل أبناء منطقة سهل نينوى تصدر من الجهة نفسها، لهذا فقد اشرنا إلى هذا القرار بشيء من التفصيل.

كانت المرحلة الأولى من عمليات الأنفال قد بدأت في ٢٣ شباط ١٩٨٨، وانتهت مرحلتها الأخيرة (الثامنة) في ٦ أيلول ١٩٨٨[٣]، وقد أسفرت هذه العمليات عن استشهاد وفقدان حوالي (١٨٢) ألف شخص وتدمير (٢٤٥١) قرية وتدمير (١٣٤٤) مدرسة ونهب الأموال المنقولة وتدمير الأراضي والآبار الزراعية باستخدامها سياسة الأرض المحروقة[٤].

استطاعت الحكومة خلال المدة ٢٣ شباط ١٩٨٨ حتى ٦ أيلول ١٩٨٨ من تنفيذ ما خططت لها في عملية الأنفال، وتفرغت لتنفيذ الخطة الأخرى المتمثلة بترحيل سكان المناطق الأخرى من كوردستان وتعريبها عن طريق إسكان العوائل والعشائر العربية فيها، وجاءت الفرصة المناسبة بانتهاء الحرب العراقية الإيرانية في ٨ آب ١٩٨٨، لتنفيذ المرحلة الثانية من خطة التعريب والقضاء على الحركة الكوردية بشكل نهائي حسب وجهة نظرها.

أوعزت الحكومة عن طريق المكاتب الحزبية وفروعها إلى الاستعداد لتنفيذ عمليات الترحيل في منطقة نينوى، إذ استلمت محافظة نينوى البرقية المرسلة من مكتب تنظيم الشمال ذي الرقم (١١٠٣) في ٤ تموز ١٩٨٨، الخاصة باتخاذ الإجراءات المناسبة لترحيل

---

(١) مقابلة شخصية للباحث مع السيد جاسم محمد عبدالله (من أهالي قرية وردك) في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٢) قرار مجلس قيادة الثورة المرقم (١٦٠) في ٢٩ آذار ١٩٨٧. وثيقة منشورة في: عةبدولَلا كةريم مةحمود، رةشة باى ذةهرو ئةنفال،بةرطى دووةم، بلَاوكراوةكانى وةزارةتى رؤشنبيرى (هةولير،٢٠٠٤)، ل ٤٣.

(٣) للوقوف على تفاصيل عملية الأنفال بمراحلها الثمان، ينظر: فاتح محمد سليمان، عمليات الأنفال في كوردستان العراق في ضوء مقاصد الشريعة والاتفاقات والمواثيق الدولية، منشورات الجمعية الثقافية والاجتماعية (كركوك، ٢٠١٠)، ص ٩٣-١٢٦.

(٤) هيئة الدفاع عن ضحايا الأنفال، نص اللائحة الإيضاحية المقدمة من قبل هيئة الدفاع عن ضحايا جريمة الأنفال إلى محكمة الجنايات العراقية العليا في القضية المرقمة ١/الجنايات الثانية/٢٠٠٦، مطبعة المندلاوي (أربيل،د.ت)، ص ١٠٧-١٠٨.

العوائل الكوردية وفق قوائم خاصة بأسماء العوائل المشمولة بالترحيل وضمت (٤٩٨) عائلة من الكاكائية[١]، وقد تم تشكيل لجنة من قبل محافظة نينوى في ٥ تموز ١٩٨٨، للإشراف على تنفيذ العملية برئاسة مدير شرطة نينوى وعضوية كل من ممثل عن قيادة فرع الموصل لحزب البعث العربي الاشتراكي وممثل عن قيادة فرع نينوى وممثل عن مديرية امن المحافظة وسكرتير لجنة مكافحة النشاط المعادي وممثل مركز استخبارات الموصل بموجب كتاب المحافظة المرقم (٦٨٢) في ٥ تموز ١٩٨٨[٢] ، وقد أصدرت مديرية الشؤون الداخلية في محافظة نينوى/ لجنة مكافحة النشاط المعادي كتاباً خاصاً لتنفيذ إجراءات الترحيل وحمل الرقم (٧٨٩) في ١٥ آب ١٩٨٨ إلى لجنة النشاط المعادي لقضاء الحمدانية، وقد نص الكتاب المعطوف على الكتب التي ذكرناها سالفا على اتخاذ "الإجراءات المبينة أدناه بصدد الأشخاص المبينة أسماؤهم في القوائم المرفقة طياً والذين غيروا قوميتهم من العربية إلى الكردية على ان يجرى التنفيذ بإشراف اللجنة المشكلة بموجب أمر هذه المحافظة ٦٨٢ في ٨٨/٧/٥...) وقد تمثلت الإجراءات بما يأتي: "

١- هدم دورهم.

٢- ترحيلهم إلى المجمعات.

٣- عدم تعويضهم نهائياً.

٤- قطع علاقاتهم بالحزب." [٣].

ومن الجدير بالملاحظة إن الكتاب صدر عن لجنة مكافحة النشاط المعادي، وكأن هذه القرى قامت بالتمرد على السلطات الحكومية، علما أن عدداً لا بأس به من أفراد القبيلة كانوا منتمين إلى حزب البعث وأبنائها منخرطون في صفوف القوات المسلحة العراقية أو في صفوف أفواج (الدفاع الوطني) التي كانت اشد قسوة من الجيش على الكورد!، مما يؤكد بأن المسألة لا تتعلق بتغيير القومية أو وجود مخاطر تهدد كيان الدولة وإنما اجتثاث الوجود الكوردي في هذه المنطقة وتعريبها، وما كان تغيير القومية إلا مبرراً للقيام بهذه العملية. بعد أن تأكدت الحكومة إن صهرهم في بوتقة القومية العربية أمر غير وارد الحصول في ظل تمسك القبيلة بموروثها الاجتماعي الكوردي وعقيدتها، وان ذلك بحاجة إلى مئات السنيين لإنجاح مخطط الحكومة، فبالتالي ترحيلهم سيأتي بفائدة اكبر طالما إن الظروف قد توفرت بعد تمكنها من إضعاف الكورد عن طريق عملية الأنفال أولا وانتهاء الحرب العراقية الإيرانية ثانياً.

أسرعت الحكومة بتنفيذ عملية الترحيل مباشرة بعد انتهاء الحرب، إذ باشرت في ٦ أيلول ١٩٨٨ بعملية ترحيل قسم من عوائل قرية وردك إلى مجمع تكية التابعة لقضاء جمجمال، ويصف مام زوراب عملية ترحيل الوجبة الأولى من عوائل قرية وردك بالشكل الآتي: "أحاط رجال الحزب وأفراد الجيش الشعبي بالقرية من كل الجهات مما أدى إلى اختباء الهاربين من الخدمة العسكرية داخل القرية - كان الهارب الذي يُلقى القبض عليه يعدم فوراً- ولم يكن أمامهم أي منفذ للهرب إلى خارج القرية، ولإنقاذ هؤلاء من الموت المحقق، أقام احد أبناء القرية وليمة كبيرة للقوات الحكومية، وبعد جهد جهيد استطاع إقناع المجموعة التي كانت تقف عند نهر الخازر للذهاب معه لتناول الغداء، وبعد أن خلت جهة النهر من رجال الحكومة هرب المحاصرون إلى الجهة المقابلة للقرية دون أن تشعر السلطات بهم، وتم ترحيل عوائلهم بواسطة سيارات حمل كبيرة سخرتها السلطات لهذا الغرض، ولم يستطع الرجال الذين هربوا من القرية من الرحيل مع عوائلهم، إلا أنهم استطاعوا من اللحاق بها بواسطة النقيب في الجيش العراقي آنذاك محمود حسين محمود في منطقة خبات، إذ قام الضابط المذكور بتوفير سيارة خاصة لنقلهم والالتحاق بعوائلهم دون أن يتعرض لهم احد"، وأضاف مام زوراب أيضاً "إن

(1) البرقية رقم (١١٠٣) الموجهة من مكتب تنظيم الشمال إلى محافظة نينوى في ٤ تموز ١٩٨٨، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.

(٢) كتاب محافظة نينوى المرقم (٦٨٢) في ٥ تموز ١٩٨٨، حول تشكيل لجنة للإشراف على تنفيذ ما جاء في برقية مكتب تنظيم الشمال، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.

(3) كتاب محافظة نينوى/ مديرية الشؤون الداخلية/ لجنة مكافحة النشاط المعادي المرقم (٧٨٩) في ١٥ آب ١٩٨٨ الموجه إلى لجنة مكافحة النشاط المعادي في قضاء الحمدانية، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.

السلطات كانت تتعمد في إهانة العوائل المرحلة من خلال إيقاف السيارات التي كانت تقلهم في المدن والطرقات ساعات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة، فيبادر الأهالي بتزويدنا بالماء والأكل رأفة بنا"[١]. وبالطريقة نفسها تم ترحيل عوائل قرية تل اللبن وكزكان والمجيدية وكبرلي والبقية المتبقية من قرية وردك، خلال المدة ١٢ أيلول ولغاية ١٥ أيلول من سنة ١٩٨٨ ، إذ تم ترحيلهم إلى مناطق مختلفة من محافظة السليمانية. فقد تم إسكانهم في العراء ضمن مجمعات سكنية لم تكن تتوفر فيها أي مقومات للحياة العادية كالماء والعمل مثل تكية والسلام (باينجان)[٢] وبيره مكرون[٣] وتحت رحمة الظروف الجوية القاسية[٤]، وأما سكان قرية كبرلي من الكاكائية، فقد تم ترحلهم إلى مجمع حرير التابع لمحافظة أربيل مع الشبك[٥].

ومع أن هذه العملية لم تكبد هذه القبيلة شيئا من الأرواح ، إلا أنها سببت بخسائر كبيرة في الممتلكات ، إذ تركت مزارعها في أوقات جني المحصول واضطرت إلى بيع مواشيها وترك بعضها ، فضلا عن تدمير القرى وتسويتها بالأرض كما جاء في الفقرة الأولى من كتاب المحافظة، وقد تم تنفيذ كل فقراته الأخرى بكل تفاصيلها، كما تم نقل سجلات الأحوال الشخصية الخاصة بهم إلى محافظة السليمانية بموجب كتاب محافظة نينوى المرقم (٩٧٣) في ٤ تشرين الأول ١٩٨٨[٦]، وذلك لإنهاء أي ارتباط لهم بالمنطقة كأنهم لم يخلقوا فيها، فضلا عن مصادرة أملاكهم غير المنقولة وتسجيلها باسم وزارة المالية، إذ يؤكد ذلك الكتاب الصادر من قائممقامية قضاء الحمدانية إلى ملاحظية التسجيل العقاري في الحمدانية حول مصادرة الأراضي الخاصة بالمرحلين من قرية زنكل[٧].

كان الشتاء على الأبواب مما كان يهدد هذه العوائل التي لم تجد بيوتا تأوي إليها إلا الخيم التي لا تقاوم الظروف الجوية القاسية، وقاد هذا الأمر برؤوساء القبيلة إلى طرق جميع الأبواب من اجل إعادتهم إلى مناطقهم، وقد تمكن هؤلاء من الوصول إلى القيادات العليا في الدول لإعادتها إلى مواطنها، وبعد مدة من الزمن نجح هؤلاء في إقناع القيادات الحكومية ولاسيما علي حسن المجيد مسؤول مكتب تنظيمات الشمال لإعادتهم إلى مواطنهم، فوافقت الحكومة على ذلك ولكن بشروط معينة وهي:

١- تغيير المرحلين لقوميتهم من الكوردية إلى العربية مرة أخرى ضمن ما عرف بمسألة (تصحيح القومية) [٨].

٢- عدم إعادتهم إلى مواطنهم الأصلية وإنما إسكانهم ضمن ناحية الكوير التابعة لمحافظة أربيل.

٣- الدخول في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي (المحظور حاليا).

بعد موافقة الأهالي على هذه الشروط، قرر مجلس قيادة الثورة في كتابه المرقم (٧٤٥) في ١٩ تشرين الثاني ١٩٨٩، إعفاء الكاكائية من العقوبات التي فرضت عليها، إذ نصت الفقرة الأولى من الكتاب على أن "يعفى الأشخاص المبينة أسماؤهم بالقوائم المرفقة وعوائلهم

---

(١) مقابلة شخصية للباحث مع السيد زوراب عساف درويش في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٢) يقع هذا المجمع مقابل قرية صغيرة تدعى تينال، وهي مركز ناحية بازيان التابعة لمحافظة السليمانية. لمعرفة المزيد حول هذه القرية ينظر: بابان، المصدر السابق، ٩١.

(3) سمي كذلك نسبة إلى جبل شاهق بالقرب من المجمع وتغطيه الثلوج في أكثر من موسم، وكان يعرف قديما باسم (بير عمر كدرون). بابان، المصدر السابق، ص ٧٦-٧٧.

(٤) شكوى مرفوعة من المُرحل مهدي صالح عبدالله (عميد شرطة حاليا) إلى أكثر من جهة من بينها حكومة إقليم كوردستان في كانون الأول ٢٠١٠، نسخة منها محفوظة لدى الباحث.

(٥) مقابلة شخصية للباحث مع السيد شريف فتح الله فرحان (ممرض) وهو أحد أهالي قرية كبرلي في قره قوش بتاريخ ١٢ شباط ٢٠١٣.

(٦) كتاب محافظة نينوى ذي الرقم (٩٧٣) في ١٩٨٨/١٠/٤ إلى محافظة السليمانية، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.

(٧) كتاب قائممقامية قضاء الحمدانية إلى ملاحظية التسجيل العقاري في الحمدانية ذي العدد س١٣٦ في ١٩٩٠/١١/١٥، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.

(٨) عمدت السلطة البعثية في العراق إلى تغيير قومية العوائل التي تنتمي إلى القوميات غير العربية بموجب استمارات خاصة أُعدت لهذا الغرض بهدف تقليل نسبة القوميات الأخرى في محافظات كركوك ونينوى وديالى من خلال سياسة الترغيب والترهيب، إذ كانت تعد العوائل التي تُغير قوميتها بعدم التعرض لها، والسماح لها بالتملك والتوظيف، كما كانت تلجأ إلى الترهيب عن طريق تهديدها بالترحيل إلى مناطق (الحكم الذاتي) أو حرمانها ن حقوق التملك والتوظيف. مما أدى ببعض العوائل إلى تغيير قوميتها، بينما آثر البعض الآخر منها الرحيل إلى مناطق أخرى.

البالغ عددها (٤٩٨) فقط ابتداء بالتسلسل (١) عائلة كوثر عنتر محو وانتهاء بالتسلسل (٤٩٨) عائلة (مظفر سعدون رمو) من العقوبة المنصوص عليها بقرار مجلس قيادة الثورة المرقم (٨٥٠) المؤرخ في ١٩٨٨/١١/٢٧"[١].

وافق الأهالي على هذه الشروط أملا في النجاة من الشتاء القارص في مناطق تواجدهم وإيجاد مصدر للعيش، وهذه تتوفر في المنطقة المزمع ترحيلهم إليها. ومن المفيد ذكره إن اختيار هذه المنطقة لإسكان الكاكائية فيها، يعود إلى العقيد مرعي من قرية همدان الذي كان يعمل كضابط ارتباط في مكتب تنظيم الشمال، إذ أراد من ذلك إقامة حاجز امني للقرى العربية التي ينتمي إليها في المنطقة[٢]، مثل الهويرة ومركيبة وطراش (همدان) وأبو شيتة ومجلوبة وغيرها، وتم إسكان الكاكائية في قرى شمشوله ولزاكة (زاكة) وسيد أمين وماجداوا على شكل حزام امني للقرى العربية وهي قرى تم ترحيل أهلها الكورد وتم تدميرها في وقت سابق. فقد تم إسكان المرحلين من قرية وردك في قرية شمشولة[٣]، والمرحلين من قريتي المجيدية وزنكل في قرية زاكة[٤]، والمرحلين من قرية تل اللبن في قرية سيد أمين والمرحلين من قريتي كزكان وكبرلي في قرية ماجداوا[٥].

ومهما قيل وما واجهت هذه القبيلة من انتقادات بشأن تغيير قوميتها من خلال استجابتها لشروط الحكومة من جهة وسكنها في مناطق تعود في الأصل إلى أبناء جلدتهم ، إلا أنها استطاعت من المحافظة على وجودها وتماسكها كقبيلة والحفاظ على عقيدتها التي كانت مهددة بالانصهار في بوتقة العقائد الأخرى من خلال تشتيتها في مناطق مختلفة وحرمانها من حقوقها الثقافية نتيجة انقطاع أبنائها عن التعليم، كما أنها أصبحت قريبة جداً من موطنها الأصلي وأخذت تتحين الفرصة المناسبة للعودة إلى مواطنها، علماً إن قبول الكاكائية لهذه الشروط ، ما هو إلا خطوة أولية للعمل على العودة.

ومن الأحداث الجديرة بالإشارة التي وقعت أثناء تواجد القبيلة في منطقة الكوير والتي كادت أن تصيبها بنكبة أخرى ، هي الحادثة التي وقعت في سنة ١٩٩٠ في المركز الانتخابي في قرية الهويرة العربية خلال انتخابات المجلس التشريعي لمنطقة الحكم الذاتي، إذ وقعت صدامات بين الكاكائية وعرب المنطقة مزقت خلالها صور الرئيس العراقي الأسبق واللافتات الحزبية وكادت أن تصل إلى معركة بالأسلحة النارية لولا وصول السيد فهد بيجان حسن[٦] مع أفراد من فوجه (فوج ١٨٤ الدفاع الوطني) الذي كان يرابط على الطريق الممتد بين أربيل والكوير ، بعد سماعه للحادثة، وأنقذ أبناء عشيرته من مؤامرة حيكت خيوطها من قبل البعض من عرب المنطقة بالتعاون مع الحزب والشرطة ضد الكاكائية، بعد أن تبين لهم بأن الكاكائية لن تصوت لصالح مرشحيهم، وكان مجيئه بهذه القوة العسكرية وسيطرته على الموقف أدى إلى إنهاء الصدام الذي جرى بالأسلحة البيضاء والحجارة، وقد أسفرت الحادثة عن إصابة حوالي (٣٠) شخصا من العرب ونصف العدد من الكاكائية[٧].

مع انطلاقة انتفاضة آذار ١٩٩١، تمكن الأهالي وبمساعدة قوات البيشمركة من تحرير اغلب المدن الكوردية، ولاسيما مدينة أربيل التي كانت مركزاً للفيلق الخامس من الجيش العراقي، وقبل انتهاء عملية تحريرها بشكل كامل، باشر أبناء الكاكائية بالهجرة قاصدين قراهم الأصلية ليلاً ونهاراً راجلين وركوبا حتى وصلوا إلى قراهم وكل منهم استقر في قريته والمباشرة بإعادة اعمارها من جديد.

---

(١) قرار مجلس قيادة الثورة ذي الرقم (٧٤٥) في ١٩٨٩/١١/١٩، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.

(٢) مقابلة شخصية للباحث مع السيد جاسم محمد عبدالله (من أهالي قرية وردك) في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٣) مقابلة شخصية للباحث مع السيد زوراب عساف درويش في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٤) الباحث نفسه من المرحلين إلى قرية زاكة.

(٥) مقابلة شخصية للباحث مع السيد شريف فتح الله فرحان (ممرض) وهو أحد أهالي قرية كبرلي في قره قوش بتاريخ ١٢ شباط ٢٠١٣.

(6) ولد في قرية جم جقل التابع لقضاء خانقين في سنة ١٩٥٠، حصل على شهادة الإعدادية في خانقين سنة ١٩٧٠، استقر في مدينة أربيل سنة ١٩٧٥، وشغل عدة مناصب إدارية فيها، توفي بكركوك في ٦ حزيران ٢٠١١، ودفن في مقبرة الإمام أحمد (خان أحمد) في حي المصلى. مقابلة شخصية للباحث مع ابنته أهداف فهد في كركوك بتاريخ ١٩ شباط ٢٠١٣.

(٧) مقابلة شخصية للباحث مع السيد فهمي احمد عبدالله (من أهالي قرية وردك) في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

كانت هذه العودة مليئة بالمخاطر على الرغم من انهيار القوات الأمنية في المناطق الكوردية، لكن اغلب مناطق محافظة نينوى لم تكن قد تحررت بعد، بل على العكس فإنها من بين المحافظات القليلة التي لم تشهد انتفاضة كما كانت الأحوال في محافظات الجنوب والوسط والمدن الكوردستانية، وكانت هذه القرى لا تزال تحت مرمى مدافع النظام المتمركزة في منطقة الخازر، مما صعب من عملية العودة. لكن الأسوأ في الأمر إن النظام بعد أن تمكن من إعادة السيطرة على معظم المناطق التي خرجت عن سيطرتها إبان الانتفاضة[١]، أصدرت أوامرها بإعادة الكاكائية مرة أخرى إلى منطقة الكوير التي رحلت إليها من قَبل[٢]، مما دعا بوجهاء القبيلة إلى الاتصال بشيخ القبيلة عدنان آغا وكبير وجهائها مظهر ده ده الكاكائي للتدخل لدى السلطات الحكومية لإيقاف ترحيلهم، وبالفعل فقد قاما على عجل بإجراء اتصالاتهما، إذ ذكر الآغا بأنهما اتصلا أولا بمسؤول قيادة فرع التأميم للحزب عطية شنداخ، ثم تم الاتصال بالقيادات العليا وزارا محافظة نينوى وتم الحصول على الموافقات الرسمية لإبقائهم في مناطقهم[٣].

وبعد سقوط النظام البعثي في نيسان ٢٠٠٣، وإلقاء القبض على أغلب رموز النظام السابق، تم محاكمتهم على الجرائم التي ارتكبوها ضد الشعب العراقي ومن بينها جرائم التطهير العرقي ومن ضمنها قضية ترحيل الكاكائية والشبك في سنة ١٩٨٨، ومصادرة أملاكهم، وقد حكمت المحكمة على المدانين في هذه القضية بالسجن لمدة سبعة أعوام، وكان في مقدمتهم علي حسن المجيد ومزبان خضر هادي وزمام عبدالرزاق وآخرين[٤].

إن مسلسل الترحيل القسري لم ينتهِ، ففي ١٥ آذار ١٩٩٥، تم ترحيل (١٥) عائلة من أهالي قرية وردك تحت عنوان (المسيئين) دون أن ترتكب جريمة تذكر، إلى صحراء قضاء الحضر التابع لمحافظة نينوى[٥]، بموجب الكتاب الصادر لجنة شؤون الشمال المرقم (٣٠٢٤) في ٧ آذار ١٩٩٥[٦] وكان سكان المنطقة ابلغوهم بان الذين يجلبون إلى هذه المنطقة يتم إبادتهم ودفنهم، الأمر الذي دفعهم إلى الهرب تحت جنح الليل فنفذوا بجلدهم من الموت المؤكد[٧].

التعليم

افتتحت المدارس في مناطق الكاكائية في فترة متأخرة، إذ تم افتتاح أول مدرسة ابتدائية في قرية وردك في سنة ١٩٥٩[٨]، وفي قرية كبرلي ١٩٥٩، وقد تم تحديث المدرسة في سنة ١٩٨٠، وتم استحداث متوسطة في البناية نفسها وفي السنة ذاتها، وأصبحت ثانوية في سنة ١٩٩٦، أما بناية إعدادية كبرلي فقد تم تشيدها في سنة ٢٠٠٧[٩]، وفي قرية تل اللبن تم استحداث مدرسة فيها سنة ١٩٦٥ وفي قرية كزكان في سنة ١٩٧٧[١٠]، وفي قرية زنكل في سنة ١٩٧٥، وفي قرية المجيدية في سنة ١٩٧٩[١١]، وكانت الدراسة في جميع هذه المدارس باللغة العربية ، وقد أُغلقت بعضها بين فترة وأخرى ولاسيما إبان الحرب العراقية الإيرانية مثل مدرسة المجيدية وكزكان[١].

(١) تريب، المصدر السابق، ص ٣٣٤-٣٣٦.

(٢) المحكمة الجنائية العراقية العليا/ محكمة الجنايات الرابعة/ الدعوى رقم ١/ج٤/٢٠٠٩ في ٢٠٠٩/٨/٢، ص ١٢٥، نسخة من الوثيقة حصل عليها الباحث من السيد مهدي صالح عبدالله (عميد شرطة حاليا) بتاريخ ٢٠١٣/٢/٩.

(٣) مقابلة شخصية للباحث مع عدنان آغا الكاكائي رئيس القبيلة في كركوك بتاريخ ٤ شباط ٢٠١٣.

(٤) المحكمة الجنائية العراقية العليا/ محكمة الجنايات الرابعة/ الدعوى رقم ١/ج٤/٢٠٠٩ في ٢٠٠٩/٨/٢، ص ١٢٥، نسخة من الوثيقة حصل عليها الباحث من السيد مهدي صالح عبدالله (عميد شرطة حاليا) بتاريخ ٢٠١٣/٢/٩.

(٥) مقابلة شخصية للباحث مع السيد سالم سعدالله عبدالقادر (معلم متقاعد) في وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٦) كتاب لجنة شؤون الشمال المرقم (٣٠٢٤) في ٧ آذار ١٩٩٥، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.

(٧) مقابلة شخصية للباحث مع السيد فهمي احمد عبدالله (من أهالي قرية وردك) في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٨) مقابلة شخصية للباحث مع السيد سالم سعدالله عبدالقادر (معلم متقاعد) في وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٩) مقابلة شخصية للباحث مع السيد شريف فتح الله فرحان (ممرض) وهو أحد أهالي قرية كبرلي في قره قوش بتاريخ ١٢ شباط ٢٠١٣.

(١٠) مقابلة شخصية للباحث مع السيد سالم سعدالله عبدالقادر (معلم متقاعد) في وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(١١) مقابلة شخصية للباحث مع السيد سالم صالح عبدالله (كاسب من أهالي قرية زنكل) أكمل الابتدائية فيها في زنكل بتاريخ ١٢ شباط ٢٠١٣.

وكزكان[١]، بحجة عدم وجود معلمين واضطرار تلاميذهما الذهاب إلى قرية تل اللبن، والجدير بالذكر إن هذه القرى لم تشهد افتتاح مدارس ثانوية في أي منها إلا بعد سقوط النظام البعثي في نيسان ٢٠٠٣، إذ تم افتتاح ثانوية وردك المختلطة في سنة ٢٠٠٨ وهي الوحيدة في المنطقة[٢]، إذا ما استثنينا متوسطة كبرلي التي افتتحت في سنة ١٩٨٠، كونها قريبة من مركز قضاء الحمدانية من جهة والقرية تسكنها مجموعة من الشبك من جهة أخرى، والأمر الذي لابد من ذكره إن التلاميذ والطلبة من أبناء المرحلين قد حرموا من التعليم سنتين متتاليتين بسبب الترحيل، ليس هذا فقط ، بل أن الطلبة الذين كانوا يدرسون في مدراس ناحية الكلك وقضاء الحمدانية اجبروا على ترك مدارسهم والالتحاق بمدارس مناطق الحكم الذاتي.

تعريب الأسماء

يبدو أن التأثير الثقافي والعامل السياسي كان لهما دور كبير في تسمية العوائل الكاكائية مواليدها بالأسماء العربية، وهذا لا يعني أن هذا الأمر يتعلق فقط بالكاكائية بل حتى العشائر الكوردية الأخرى التي تعيش في محافظة نينوى، إلا أن الذي يميزها عن غيرها إنها كانت تريد أن تبعد نفسها عن أي شبهات لربما ستعود سلبا عليها، هذا من جانب، كما كانت الحكومة تعرقل دائما العوائل في دوائر النفوس من تسمية مواليدها بالأسماء الكوردية[٣]، لذا يجد المتتبع لشؤون أبناء هذه المنطقة بان الأسماء العربية هي الطاغية، ونادرا ما تجد شخصاً يسمي مولوده باسم كوردي، وخير دليل على إن الكاكائية كانت تريد حماية نفسها من سياسات الحكومة، انه بعد سقوط النظام في سنة ٢٠٠٣، أخذت الأسماء الكوردية بالتزايد، إذ أن نسبة ٩٠% من مواليدها الجدد أخذت تحمل أسماء كوردية لم تكن معروفة سابقاً.

الإرهاب والقتل الجماعي

بعد سقوط النظام اثر العملية التي قادتها الولايات المتحدة الأميركية والانتفاضة الداخلية في اغلب المدن، استبشر العراقيون خيرا بزوال النظام البعثي في ٩ نيسان ٢٠٠٣ الذي قبع على صدورهم مدة (٣٥) عاما، وكانت الكاكائية كغيرها من القبائل والعشائر الكوردية الأخرى ساعدت وبشكل واضح في إثبات الوجود الكوردي في محافظة نينوى، إذ دخل أبناؤها منذ الوهلة الأولى إلى صفوف القوات المسلحة العراقية (الجيش والشرطة) وقوات البيشمركة، فضلا عن دخولهم إلى صفوف الأحزاب الكوردية، وبشكل خاص حزبي الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني، ومن الجدير بالذكر إن عدداً كبيراً من شباب القبيلة كانوا على اتصال سابق بالأحزاب الكوردية حتى قبل سقوط النظام ولكن بشكل سري. وقد قدمت الكاكائية ضحايا في سبيل الوجود الكوردي في محافظة نينوى من خلال حماية الأحياء الكوردية في مدينة الموصل عن طريق المقرات الحزبية التي انتشرت في عموم الأحياء الكوردية، وكذلك حماية طريق الموصل - أربيل، هذا فضلا عن توزيع الرايا والمقرات في عموم المناطق التي تقطنها الكاكائية.

إن هذه الاتصالات المتميزة بين السلطة في إقليم كوردسنان وأحزابها السياسية من جهة والكاكائية في محافظة نينوى من جهة ثانية كانت محل استياء وغضب لدى التيارات السياسية المعادية للكورد والحركات المسلحة والتيارات الدينية المتطرفة، والجدير بالذكر أن الكاكائية كطريقة دينية مختلفة عن المذاهب الإسلامية كانت من الأسباب الجوهرية وراء استهدافهم من بقايا البعثيين والتنظيمات الإسلامية المتطرفة. وعملت بكل الوسائل على الانتقام من هذه القبيلة، وبدأت أولا بقتل المنتسبين إلى الأحزاب السياسية الكوردية ومنتسبي القوات المسلحة، ومن ثم اغتيالهم للمواطنين العاديين داخل المدن واحدا بعد الآخر، ورمي المنشورات التي تهدد الكاكائية بالقتل في حالة عدم الرحيل عن مدينة الموصل، وقد أسفرت هذه العمليات عن مقتل حوالي (٥٠) شخصاً. وقد هجرت (٩٥%) من

(1) الباحث نفسه أكمل الصفوف الثلاثة الأولى فيها ثم انتقل إلى قرية تل اللبن لإغلاق المدرسة لعدم وجود معلم فيها، فأكمل الابتدائية فيها.

(٢) مقابلة شخصية للباحث مع السيد سالم سعدالله عبدالقادر (معلم متقاعد) في وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(3) مقابلة شخصية للباحث مع السيد زوراب عساف درويش في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

العوائل الساكنة في مدينة الموصل قاصدين مدن وقصبات إقليم كوردستان مثل أربيل وخبات والكلك بالدرجة الأساسية، وقصدت عوائل أخرى قرى القبيلة، وقره قوش وبرطلة.

لم تسلم القبيلة مطلقا من تهديدات الجماعات المسلحة المتطرفة، وكانت المنشورات تصل إلى المنطقة بين الحين والآخر وكانت تؤكد بالدرجة الأولى على الانسحاب من القوات الأمنية الكوردية والحكومية، والأحزاب السياسية الكوردية وإخراج مقراتها في المنطقة، وكان هذه المنشورات تهدد وجودهم في المنطقة، إذ كانت تؤكد على أن هذه الطائفة أو الطريقة الدينية الخاصة بهم مارقة وخارجة على الدين، وتحلل قتلهم، ولم تقف هذه المسألة عن حدود التهديد فقط، بل نفذت المجموعات الإرهابية عملية أعدت لها مسبقا لتدمير أهم المراكز الدينية المتمثل بمقام السيد هياس في قرية وردك[١]، إذ تم تفخيخه وتفجيره في ليلة ٢٢/٢١ كانون الثاني ٢٠٠٤[٢]، وكان الهدف الأساسي من ورائه استهداف الكاكائية في معتقدهم، ولم تكتفِ تلك الجماعات بتلك الأعمال بل خططت هذه المرة لتدمير قرية وردك بالكامل كونها تعد أهم قرى الكاكائية من النواحي الدينية والسياسية، وأكبرها من حيث الحجم السكاني، إذ يزيد عدد عوائلها على (٤٠٠) عائلة.

أعدت لهذه العملية خطة دقيقة تقوم على تفخيخ سيارتي حمل نوع قلاب سكانيا بحوالي أربعة أطنان من المواد المتفجرة لكل واحدة منها وتغطيتها بمواد البناء يقودهما انتحاريان. ومن الجدير بالذكر إن القرية قد أقيمت حولها خندق لمنع دخول السيارات إليها منذ تفجير مقام السيد هياس ، إلا عن طريق منفذين فقط، وكانت تسيطر على المنفذ الغربي مجموعة من قوات البيشمركة، أما المنفذ الآخر الذي هو عبارة عن جسر حديدي مقام على نهر الخازر، فلم تكن عليه حراسات على اعتباره يقع في الجهة الشرقية من القرية وهي منطقة أمينة، كما أن السيارات الكبيرة لا تستطيع الدخول إلى القرية بسبب وضع عارض حديدي فوق الجسر لهذا الغرض، وقد اختارت المجموعات الإرهابية تمرير السيارتين عن طريق الجسر الذي، الأمر الذي نبه أهالي القرية بان هاتين السيارتين مشبوهتان، ويبدو أن القائمين على هذه العملية قد تفقدوا القرية قبل تنفيذ العملية وكانوا على علم بغلق الجسر بعارض حديدي، لذلك فقد صنعوا عارضة حديدية فوق مقدمة السيارة حتى أعلى السقف لقلع العارض والعبور إلى جهة القرية وفتح الطريق أمام السيارة الثانية.

يبدو أن الخطة كانت تقوم على تفجير السيارتين في آن واحد، احدهما في الشمال الشرقي من القرية، والأخرى في الجنوب الغربي من القرية لإلحاق اكبر قدر ممكن من الأضرار بالقرية، والحقيقة إن الخطة كانت تستهدف تدمير القرية عن بكرة أبيها وإبادة من فيها. إلا أن الخطة لم تحقق جميع أهدافها، نظراً لاكتشاف أهل القرية لأمر السيارتين والتصدي لهما، وعندما عبرت السيارة الأولى الجسر وكسرها للعارضة، في تمام الساعة الثانية عشر من ليلة ١٠/٩ أيلول ٢٠٠٩، وكان الفضل في إيقاظ أهل القرية يعود إلى شخصين كان يقضيان ليلهما على ضفاف النهر وهما نادر مجيد وجاسم ماماخان، إذ انتبها إلى السيارتين، واحضرا سلاحهما وقاما بإطلاق النار عليهما مما أدى إلى إيقاظ الأهالي على صوت الإطلاقات النارية، إلا أن السيارة الأولى دخلت القرية في محاولة للوصول إلى الجهة الأخرى منها، أما السيارة الثانية فقد تم ملاحقتها من قبل هذين الشخصين في شجاعة نادرة ، مما أدى إلى ارتباك سائقها فوقعت في حفرة وعندما اقتربا منها فجر الانتحاري نفسه مع السيارة، أما السيارة الأولى تمكن عدد من أفراد القرية من قتل سائقها قبل أن يفجر نفسه. لكن انفجار السيارة الثانية أدى إلى استشهاد الشخصين الذين لاحقاها فضلا عن (١٧) شخصاً آخر أغلبهم من الأطفال والنساء وكان من بين الشهداء عائلة كاملة لم ينجوا منها سوى طفلة واحدة بعد أن أصيبت بإصابات بليغة ، فضلا عن ما لا يقل عن (٥٠) جريحاً آخرين، كما أدى الانفجار إلى تدمير عدد كبير من الدور السكنية والممتلكات من السيارات والساحبات وغيرها[٣].

---

(١) يعود بناء مقام السيد هياس إلى حوالي ٦٠٠ سنة تقريبا، ويقع على بعد كيلومتر واحد إلى الجنوب من قرية وردك ونصف كيلومتر عن نهر الخازر، ويعد السيد هياس أحد مجددي الطريقة الكاكائية، وله مريدين في أنحاء مختلفة من إيران والعراق ويسكن قسم من أحفاده في قريتي وردك وتل اللبن. مقابلة شخصية للباحث مع السيد زوراب عساف درويش في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٢) مقابلة شخصية للباحث مع السيد فهمي احمد عبدالله (من أهالي قرية وردك) في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.

(٣) مقابلة شخصية للباحث مع السيد يحيى قاسم فتح الله (مواليد ١٩٧٥) في كركوك بتاريخ ٨ شباط ٢٠١٣ وهو احد مواطني قرية وردك أصيب في التفجير، وتم علاجه في مستشفيات مدينة أربيل.

بعد تمكن تنظيم داعش من السيطرة على الموصل بتاريخ ١٠ حزيران ٢٠١٤، أخذت الجماعات التابعة للتنظيم بمهاجمة القرى واخذ شبابها وقتلهم على الهوية كما حدث في قصبة كوكجلي بالقرب من مدينة الموصل وقرى القبة وشريخان التابعة إلى ناحية برطلة في قضاء الحمدانية وقرية عمركان التابعة لناحية النمرود في القضاء نفسه، إذ اغلب سكنتها من الشبك والتركمان الشيعة، وكذلك كانوا يفعلون في قره قوش المسيحية والقرى الشبكية والتركمانية والكاكائية في قضاء الحمدانية لولا وجود قوات البيشمركة والمقاومة الشعبية لأبناء القرى تحت راية البيشمركة. إذ تمكنت قوات البيشمركة من صد عدة هجمات على قره قوش وكبدت تنظيم داعش خسائر قدرت بـ (١٤) قتيلا فضلا عن مقتل ضابط من البيشمركة وجرح ثلاثة من أفرادها في معارك دامت أكثر من خمس ساعات. وبالتالي فان التنظيم المسلح أدرك تماما ان الوقت غير مناسب للهجوم على الحمدانية وقراها التي هي في حماية البيشمركة ، ولعل عدم تعرضهم لقرى الكاكائية لاسيما قرية وردك يعود إلى ما ذكرناها، إذ عندما أرادوا الهجوم على قرية وردك من محور قرية ابزخ التي تبعد عن وردك حوالي ثلاثة كيلو مترات يعود إلى السبب الذي اشرنا اليه، إذ أنهم وجدوا قوة حماية هائلة. ومن الجدير بالذكر، ان قرية ابزخ كان معقلا لتنظيم القاعدة في المنطقة ويقتل أبنائها بعضهم في حالة مخالفة التنظيم ، وكذلك اقدموا على تنفيذ عدة عمليات انتحارية في المنطقة نجحت بعضها وبعضها الآخر فشل لأسباب شتى. ويضاف إلى ذلك كله هم من عشيرة (البو حياة) ويسكن شيخها في قرية زنكل التي هي خليط من العرب السنة والكاكائية. إذ قال احد وجهاء قرية وردك فيض الله حسين محمود، "قد أجريت اتصالا مع الشيخ يحيى[١] وأعلمته بان أي هجوم على قرانا نحن نعرفك أنت وأي قتيل منا سنقوم بقتلك وعليه اتصل بأبناء عشيرتك في قرية ابزخ ان لا يحركوا ساكنا وإلا فان قوات البيشمركة ستحول قرية ابزخ إلى خراب وهذا رقم هاتفي أعطه لهم ليتصلوا بيَّ وأنا أتعهد لهم بعدم تعرض البيشمركة لهم إذ هم لم يبادروا بالهجوم. وقال اتصل بي مختار قرية ابزخ وتعهد بأنهم لن يسمحوا لأي جهة مسلحة بالتعدي على قرى الكاكائية ونحن نكون مسؤولون عن أية طلقة تجاهكم ونشكر لكم موقفكم في عدم تعرض قوات البيشمركة لهم". فهذه كلها أسباب حالت دون تعرضهم للقرى التي هي في حماية قوات البيشمركة.

بعد ثلاثة أيام من القتال بين قوات البيشمركة وتنظيم داعش في ناحية زمار بقضاء تلعفر، أي بتاريخ ٢ آب ٢٠١٤ ، تمكن التنظيم من السيطرة تماما على الناحية في سابقة خطيرة ومؤثرة على معنويات قوات البيشمركة في مناطق التماس الأخرى على طول الحدود الممتدة من ربيعة وحتى خانقين ، إذ أكد عدد من عناصر البيشمركة بأنهم قد وعِدوا بقوات إضافية وإمدادات، إلا أنها لم تصل إليهم مما كان محل استياء وغضب البيشمركة. وقد تفاجأت القوات المتمركزة في زمار بنبأ الانسحاب بصورة سريعة، مما أدى بهم إلى ترك المعدات الثقيلة والذخيرة على الرغم من قلتها نتيجة لعدم وجود مصادر لتزويد البيشمركة بالأسلحة والذخيرة سوى تلك التي حصلت عليها بعد هزيمة قوات النظام السابق في سنة ٢٠٠٣، وهزيمة القوات العراقية على اثر أحداث الموصل في حزيران ٢٠١٤.

إن تراجع البيشمركة في زمار في ٢ آب ٢٠١٤ ، تقف وراءها أسباب عدة، لعل أهمها عدم اتخاذ الإجراءات الكافية والاستعدادات اللازمة لمواجهة تنظيم داعش على الرغم من أن القيادة الكردية كانت تدرك تماما بان التنظيم يحضر لقيام بهجوم عسكري ضد قوات البيشمركة في احد محاور التماس وقد رجح مستشار الأمن القومي الكردي مسرور بارزاني أن يكون ذلك في محور الموصل دون أن يحدد المنطقة. ويبدو أن الأسلحة التي تمتلكها قوات البيشمركة لا تكفي لمواجهة داعش، لاسيما الثقيلة منها كالمصفحات والدبابات والصواريخ ، فكل ما تمتلكها مجموعة صغيرة من الدبابات القديمة وبعض المدافع ونوع من الراجمات قصيرة المدى ، لذا فان اغلب الأسلحة هي من النوع الخفيف والمتوسط، وفي غياب الغطاء الجوي التام، لا تمتلك ولو طائرة واحدة، وقد عبر عن ذلك بشكل صريح مسرور بارزاني، إذ إن من الصعب مواجهة داعش بهذه الأسلحة لاسيما ان هذا التنظيم يمتلك أسلحة متطورة خاصة بعد سيطرته على أسلحة القوات العراقية المنهزمة في الموصل وصلاح الدين وبعض مناطق كركوك والانبار، وقد دعا الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأميركية بتجهيز إقليم كردستان بالأسلحة المتنوعة لمواجهة خطر تنظيم داعش

(١) أحد وجهاء وملاكي الأراضي في قرية زنكل، ولم يترك القرية على الرغم من قيام اغلب سكان القرية من العرب بالهجرة إلى المناطق التي تقع تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية .

بعد ان كانت القوات الكردية مسيطرة تماما على الوضع في كل من قضاء تلكيف وقضاء الحمدانية حتى الساعة العاشرة من ليلة يوم الأربعاء الموافق ٦ آب ٢٠١٤، قررت فجأة ترك مواقعها. فترك السكان بشكل عام مدنهم وقراهم في الحمدانية وتلكيف، ودخلها داعش في يوم الخميس الموافق ٧ آب ٢٠١٤ دون عناء القتال أو خسائر تذكر. وقد تعرضوا أولا إلى المؤسسات والأماكن الدينية من كنائس ومزارات وتكايا وحسينيات ومن ثم تحولوا إلى الأموال العامة التي تعود للاهالي.

قامت الجماعات المسلحة بعد دخولها بتحطيم الصلبان الموجودة في الكنائيس وازالة الصور والايقونات الأخرى فيها فضلا عن نهب ممتلكاتها ورفعوا عليها راية داعش السوداء، وكما قامت أيضاً بنسف الحسينيات في قرى الشبك والتركمان الشيعة واستباحوها ونهبوا الدور كغنائم حللها لهم دينهم!!!، ودخلوا قرية وردك مركز قرى الكاكائية ونسفوا المقرات الحزبية فيها، بل الأكثر من ذلك أنهم قاموا بنهب ما يمكن نهبه في وردك والقرى الأخرى، في عملية أنفال أخرى يتعرض لها الكاكائية والشبك والمسيحيين والتركمان الشيعة، ورفعوا أعلامهم السوداء على هذه المناطق في إشارة إلى سيطرتهم عليها وكذلك إباحتها.

لقد تشرد أهالي هذه المناطق في عملية نزوح كبيرة متوجهين إلى المناطق الآمنة في اربيل ودهوك وغيرهما من المناطق وسط توتر وقلق محلي ودولي.، ومن الملفت للنظر إن الإعلام حاول قدر الإمكان عدم التعرض إلى كل الأحداث التي وقعت في منطقة الحمدانية، إلا بعض المانشيتات الخجولة التي لم تكن بمستوى الأحداث، فتحدث بشكل خجول عن نزوح المسيحيين من الحمدانية وتلكيف وكذلك إشارات خافتة إلى الشبك، ولم يذكر الكاكائية هذه العشيرة التي استولى تنظيم داعش على قراها بعد انسحاب البيشمركة منها. ومن المفيد قوله ان قناة روناهي الكردية التابعة إلى وحدات حماية الشعب التابعة لكردستان سوريا هي الوحيدة التي أعطت معلومات دقيقة عن الأحداث التي وقعت في مناطق الكاكائية. ودعما لما ذكرته ولفك لغز سكوت القنوات الكردية التي تبث من كردستان عن ما يحدث في مناطق الكاكائية، اتصلت بقناة روداو شخصيا واعدها من القنوات المتميزة على صعيد القنوات الكردية كافة ، مستفسرا عن الأمر قالوا: "بان ليس لديهم أي شخص في تلك المنطقة وعندما استرسلت في نقل أحداث المنطقة لهم ووصلت إلى ان قوات البيشمركة قد تركت مواقعها دون قتال قطعوا الاتصال، وحاولت الاتصال بهم ثانية لم يجيبوا على اتصالي". فتأكدت انه هناك توجيها للقنوات الكردية بعدم الدخول في تفاصيل الأحداث، وإنما فقط كانوا يركزون على أحداث سنجار ومعاناة المحاصرين في جبل سنجار، وتلكيف وزمار.

وعموما فان قرى وردك وكبرلي وكزكان وتل اللبن والمجيدية خلت تماما من أهلها ودخلها داعش، إذ اخذ التنظيم من وردك مقرا له في المنطقة، فضلا عن استقرار بعض مقاتليهم في قرية كزكان، في حين إن كل من المجيدية وتل اللبن، كان أفراد التنظيم يدخلونها في الليل تفاديا لنيران قوات البيشمركة وأبناء عشيرة الكاكائية المتمركزين على التلال التي تشرف على هاتين القريتين. وكانت نتيجة احتلال داعش لقرى الكاكائية نزوح (٢١٢٨) عائلة، والبالغ نفوسها(١٩٠٣٣) نسمة. فضلا عن خسائر مادية تقدر بملايين الدولارات، إذ أن اغلب أراضيهم مزروعة بالأشجار المثمرة مثل المشمش والخوخ والزيتون، والمحاصيل الموسمية، وأحواض تربية الأسماك، والحبوب (القمح والشعير) وحصول الذُرة. هذا إلى جانب فقدانهم لمحلاتهم التجارية والسيارات والساحبات والمضخات الزراعية وغيرها، ومن المفيد قوله أن أهالي هذه القرى تمكنوا من تخليص عائلاتهم من خطر القتل والسبي وذلك لعدم تركهم الخطوط الدفاعية لقراهم الا بعد إخلائها تماما من الأهالي على الرغم من قلة الإمكانيات القتالية لديهم، بل الأكثر من ذلك فأنهم كانوا سببا في نجاة عدد كبير من العوائل الشبكية والتركمانية في منطقة الحمدانية.

الخاتمة

إن عشيرة الكاكائية تتوزع في عدة محافظات عراقية، مما جعلهم مشتتين، إلا أن الرباط الذي يربط بين أفرادها وهو العقيدة الكاكائية جعلهم يظهرون كقوة تخشاها السلطات والعشائر المجاورة لها. الأمر الذي حافظ على وجودهم.

حاولت السلطات صهرهم في بوتقة القومية العربية، عندما أجبرت القبيلة على التسجيل ضمن القومية العربية في التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٧، ومع إن هذا الإجراء حافظ على وجودهم في مناطقهم ولبى رغبة السلطة، لكن الأخيرة فشلت في تحقيق هدفها

الأساسي في عملية صهرهم، لاسيما وأن الكاكائية متمسكة إلى أبعد الحدود بموروثها الاجتماعي والعشائري والديني، بل إن تعاليم عقيدتها كلها باللغة الكوردية بالتالي ليس من الممكن أن يغير ما كتب على الورق جوهر هذه القبيلة الكوردية الأصلية. إن تهجير الكاكائية قسراً من مناطقها في محافظة نينوى سنة ١٩٨٨، يدخل ضمن عملية التطهير العرقي الذي عمد إليه نظام البعث لإبادة الكورد بما فيهم القبيلة الكاكائية. تعرضت الكاكائية إلى عمليات الإبادة الجماعية، عندما تم استهدافها من قبل الجماعات الإرهابية كأفراد أو جماعات ، إذ تم استهدافهم في المدن والقصبات التي يقيمون فيها أو عند زيارتهم لها للتسوق وغيرها واستهداف قراها بالسيارات المفخخة والانتحاريين. محاولة تنظيم الدولة الإسلامية، احتلال مناطقهم كلها وقتل أهلها وسبي نسائهم كما حدث ذلك لأتباع الديانة الايزيدية، وقد نجح التنظيم في السيطرة على قرى الكاكائية باستثناء قرية زنكل، لكنه فشل من إحداث مجزرة أو سبي نسائهم، بفضل صمود أبنائها من جهة وإيقاف زحف التنظيم من قبل البيشمركة. إن استهداف الكاكائية قديما وحديثا يعود إلى سببين أساسيين وهما القومية حيث الانتماء الطبيعي لها للقومية الكوردية، والدين أو الطريقة الدينية التي تختلف عن سائر المذاهب الإسلامية والأديان الأخرى مما جعلها هدفا للتيارات الدينية المتطرفة.

التوصيات

١- شمول مناطق الكاكائية في محافظة نينوى بالمادة الدستورية (١٤٠)، وتعويضها عن عمليات التهجير وتدمير قراها التي تعرضت لها خلال سنوات ١٩٧٤ و١٩٨٨ و١٩٨٩ و١٩٩٥، وما بعد سنة ٢٠٠٣، أسوة بالعشائر الكوردية الأخرى في المناطق الكوردستانية المستقطعة من إقليم كوردستان.

٢- أن تعمل حكومة الإقليم على تعريف المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان بما تعرضت لها الكاكائية من تهجير وتعريب وإبادة.

٣- أن تقوم حكومة إقليم كوردستان بالعمل على إلحاق مناطق الكاكائية بالإقليم من الناحية الإدارية.

٤- توفير الخدمات الأساسية من قبل حكومة الإقليم لمناطق الكاكائية.

٥- توفير حماية أمنية كافية للمنطقة للحيلولة دون استهدافهم من قبل الجماعات المسلحة.

٦- تعيين أفراد القبيلة من الخريجين في دوائر حكومة الإقليم.

٧- الاهتمام الدولي بحقوق الأقليات الدينية في العراق وحمايتها من التيارات المتطرفة حفاظا على وجودها وموروثها الاجتماعي.

٨- تحمل الحكومة العراقية مسؤولية الحفاظ على وجود الأقليات الدينية بما فيها الكاكائية من خلال توفير الحماية القانونية والأمنية لهم.

إن تنفيذ هذه التوصيات الواردة ستحافظ على الوجود الكوردي في المنطقة، وستقوي من روابطها بإقليم كوردستان، وتحول دون هجرة أبنائها للمنطقة، إذ شهدت خلال السنوات القليلة الماضية هجرة عدد من العوائل قرى الكاكائية قاصدة مدن وقصبات إقليم كوردستان بحثاً عن الأمان والعمل.

المصادر

- البرقية رقم (١١٠٣) الموجهة من مكتب تنظيم الشمال إلى محافظة نينوى في ٤ تموز ١٩٨٨، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.
- تةيب تاهيرى ، ميَذوو وفةلسةفةى سةرئةنجام: رِاظةيةك لة سةر ريَبازطةلى هزرى وبيروباوةرى لة كوردستان فةرهةنطى يارسان، ضابخانةى رؤذهةلات (هةوليَر ، ٢٠٠٩)، ل ٥٩٧-٦٢٥.
- خسرو كوران، الكورد في محافظة الموصل، ترجمة وتعليق حازم هاجانى، مطبعة حجي هاشم (أربيل، ٢٠٠٦)، ص ٧٥-٩٦.
- شكوى مرفوعة من المُرحل مهدي صالح عبدالله (عميد شرطة حاليا) إلى أكثر من جهة من بينها حكومة إقليم كوردستان في كانون الأول ٢٠١٠، نسخة منها محفوظة لدى الباحث.

- شيركو فتح الله عمر، الحزب الديمقراطي الكوردستاني وحركة التحرر القومي الكوردية ١٩٤٦-١٩٧٥، مطبعة رون (السليمانية، ٢٠٠٤)، ص ١٠٤-١١١.
- فاضل رسول، العراق - إيران : أسباب وأبعاد النزاع، دار سردم للطباعة والنشر (السليمانية، ٢٠١٠)، ص ٩٢ وما بعدها.
- قائممقامية قضاء الحمدانية إلى ملاحظية التسجيل العقاري في الحمدانية ذي العدد س١٣٦ في ١٩٩٠/١١/١٥، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.
- لجنة شؤون الشمال المرقم (٣٠٢٤) في ٧ آذار ١٩٩٥، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.
- محافظة نينوى ذي الرقم (٩٧٣) في ١٩٨٨/١٠/٤ إلى محافظة السليمانية، نسخة من الوثيقة محفوظة لدى الباحث.
- المحكمة الجنائية العراقية العليا/ محكمة الجنايات الرابعة/ الدعوى رقم ١/ج/٢٠٠٩/٤ في ٢٠٠٩/٨/٢، ص ١٢٥، نسخة من الوثيقة حصل عليها الباحث من السيد مهدي صالح عبدالله (عميد شرطة حاليا) بتاريخ ٢٠١٣/٢/٩.
- مقابلة شخصية للباحث مع السيد جاسم محمد عبدالله (من أهالي قرية وردك) في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.
- مقابلة شخصية للباحث مع السيد زوراب عساف درويش في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.
- مقابلة شخصية للباحث مع السيد سالم سعدالله عبدالقادر (معلم متقاعد) في وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.
- مقابلة شخصية للباحث مع السيد شريف فتح الله فرحان (ممرض) وهو أحد أهالي قرية كبرلي في قره قوش بتاريخ ١٢ شباط ٢٠١٣.
- مقابلة شخصية للباحث مع السيد فهمي احمد عبدالله (من أهالي قرية وردك) في قرية وردك بتاريخ ١٣ شباط ٢٠١٣.
- مقابلة شخصية للباحث مع السيد ناجي خزعل العبيدي (قائممقام قضاء الحمدانية) في كركوك بتاريخ ٢٢ شباط ٢٠١٣.
- مقابلة شخصية للباحث مع السيد يحيى قاسم فتح الله (مواليد ١٩٧٥) في كركوك بتاريخ ٨ شباط ٢٠١٣ وهو احد مواطني قرية وردك أصيب في التفجير، وتم علاجه في مستشفيات مدينة أربيل.
- مقابلة شخصية للباحث مع عدنان آغا الكاكائي رئيس القبيلة في كركوك بتاريخ ٤ شباط ٢٠١٣.